اسم المادة: اسم الله الحفيظ

من سلسلة: الحسنى

لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسـم المادة: اسم الله الحفيظ
من سلسلة: الحسنى
لفضيلة الشيخ: د. حسن بن عبد الحميد بخاري
رابط المادة: https://way2allah.com/khotab-item-151864.htm

إن معرفة أسماء الله –تعالى– وصفاته تَلُمُّ شعث القلب، وتفتح للعبد آفاقًا واسعة للتلذذ بالطاعة والعبادة، وترفع حجب الغفلة والشك والإعراض، فمن كان بالله أعرف؛ كان منه أخوف، وبحبه أقرب، وعن معصيته أبعد، وفي رجاء رحمته أطلب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أسعد الله أوقاتكم بالمسرات، وعَمَرَ قلوبنا وقلوبكم بالطاعات والمرضات.
أحبتنا الكرام؛
في كنف أسماء ربنا العظيم –سبحانه وتعالى–، نتفيأ ظلالًا ملؤها المعاني التي تغمر القلوب أنسًا بربنا، وإجلالًا لربنا، وحبًا لربنا –سبحانه وتعالى–، ويزداد هذا المعنى كلما ازدادت تلك الأسماء بما تحملها من معانٍ قربًا في لطفٍ وحفاوةٍ وعظيم فضلٍ ومنٍّ وعطاء.

اسم ربنا –سبحانه وتعالى– الحفيظ هو أحد تلك الأسماء، التي تغمرنا بفضل ربنا –جل في علاه–، والتي تشعرنا أن لنا ربًا عظيمًا كريمًا، وإنما نحن في كنف فضله وعطاياه في غاية العجز والفقر والضعف، وأتم وجوه الاحتياج إلى ربٍ غنيٍ كريمٍ حميد، إنه ربنا الحفيظ. "وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ" سبأ:٢١، "إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ" هود:٥٧.
آيتان في كتاب الله الكريم ثالثتهما قول الله –سبحانه–: "وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ" الشورى:٦، ربنا حفيظ. أي حفظٍ هو؟ حفيظٌ في غاية حفظه لعباده، وصونهم عن كل ما يتلفهم أو يفسدهم أو يضيع عليهم من أحوالهم.
حفظُ أبدانٍ، حفظُ قلوبٍ، حفظ جوارح، حفظ محسوسات، حفظ معنويات، فربنا الحفيظ –سبحانه وتعالى–.
وجوه الحفظ التي تغشانا من ربنا الحفيظ لا عد لها ولا حصر، ربما تبادر إلى الأذهان للتو، إن حفظ ربنا ذاك الذي يغشانا على فرشنا ونحن نيام، فيحفظنا ربنا من فوق سبع سماوات، ويحفظ أطفالنا الصغار من الأمراض والشرور والآفات، ويحفظ ما يغيب عن أعيننا من كل غائبٍ عزيزٍ وحبيبٍ وقريب، فتنزل عليه ألطاف ربنا فيحفظه ذات اليمين وذات الشمال.

يتبادر إلى الأذهان حفظ ربنا –سبحانه وتعالى– لأحدنا عندما أوشك وكان على شفا هلكةٍ في مصيبةٍ أو كارثةٍ أو حادثةٍ أليمة، فيحفظه ربه فينجيه، حفظ ربنا –سبحانه– نستشعره في كثيرٍ من المواقف التي ترصدها الشاشات وتنقلها العدسات، في مواقف يؤمن كل من يشهدها ويقف عليها ويراها أنه لولا حفظ الله لأطبقت عليه المصائب، ولكان تلفًا ولكان في حتف أنفه أقرب إليه من أي شيء سواه. كل ذلك صحيح، لكنه لا يعدو إلا أن يكون وجهًا من وجوه حفظ الله –عز وجل– لخلقه.

ذاك الحفظ العام يا كرام، حفظ الله لخلقه من الإنس الجان، حفظ الله –عز وجل– للبهائم، للوحوش والسباع، للطيور والحشرات، حفظ الله للصغير والكبير، حفظ الله لعباده المؤمن والكافر والبر والفاجر، الكل في حفظ الله –جل في علاه–، فإنه يحفظ لهم أبدانهم، يحفظ لهم صحتهم وعافيتهم، يحفظهم من الشرور والآفات، فهم يسلمون بحفظ الله –سبحانه وتعالى–.

وأما الحفظ الآخر، فهو الحفظ الذي يخص الله –تعالى– به أهل إيمانه، بأن يزيدهم إيمانًا ويحفظهم من كل ما يسوءهم ويكرهون، يحفظهم من شر الأعداء، يحفظهم –سبحانه وتعالى– وهم يتعوذون به "مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ" الفلق٢:٥، فلا حافظ إلا الحفيظ –سبحانه وتعالى–.
يحفظ أهل الإيمان عندما يرفعون أيديهم يسألون ربهم أن يحفظ عليهم أنفسهم، أموالهم، أبدانهم، أولادهم، أملاكهم، ويستودعونها في حفظ الله –عز وجل–، وهو خير الحافظين، تبارك ربي ما أعظمه.

إما أن حفظ ربنا –سبحانه وتعالى–، سواءٌ كان الحفظ العام لكل خلقه أو الحفظ الخاص لأهل الإيمان به وطاعته، فإنه نوعان جليلان أحدهما أعظم وألطف من الآخر:
أما الأول: فحفظ الأبدان، يحفظ –عز وجل– عباده من آفةٍ ومرضٍ وحسدٍ وسحرٍ وكربةٍ ومصيبة، لكن الآخر وهو ألطف منه وأعظم في الميزان: حفظ القلوب، أن تضل أو تزل، حفظ القلوب أن تتجرأ على معصية الله، حفظ تلك المضغة التي تسكن خلف الصدور أن تحيد عن معرفتها بالله، أو تتجرأ على محارم الله، متى شعرنا يا كرام أن أحدنا إذا عصمه الله –عز وجل– عن زلل، ومعصيةٍ وخطيئةٍ أو مقارفة فاحشةٍ وارتكاب منكر، فإنما هو بحفظ ربه الحفيظ ولولاه لهلك، لزل ولغرق في مستنقعات الرذيلة؟
هل متى أبصرنا يا كرام أنه عندما تتخطف الشهوات أناسًا من حولنا، ويقع كثيرون في فخاخ إبليس، ويقعون صرعى للشهوات هلكى للملذات، ونحن نعبر تلك البحار بمأمنٍ ومنجى. متى شعرنا أننا نعيش وجهًا من وجوه حفظ الله لنا؟!

أحبتي الكرام حفظ ربنا الحفيظ –سبحانه وتعالى– يحوطنا؛ من بين أيدينا ومن خلفنا، ونحن نستلهم في دعواتنا أن يحفظنا الله، هاكموها وصيةً من المصطفى الحبيب –صلى الله عليه وسلم– إذا ما أردنا أن ننعم بقدرٍ أوفر من حفظ الله لنا، هي كلمتان، "احفظِ اللهَ يَحفظْك"[1] ، إن أردنا أن نحوز قدرًا أعظم من حفظ الله لنا، فلا طريق أقرب من حفظنا لربنا.
ولقائلٍ إن يقول فكيف نحفظ الله وهو الحفيظ –سبحانه–؟ نحفظه فيما أمرنا بحفظه، حافظوا على الصلوات، نحفظه في قوله: "وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ" المؤمنون:٥، نحفظه بقوله: "وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ" المائدة:٨٩، وسائر ما أمرنا الله –تعالى– بحفظه، فمن حفظ الله حفظه الله.

وتأملوا معي في الختام؛ مقولة نبي الله يعقوب –عليه السلام–، إذ أتاه بنوه يطلبون أن يأخذوا أخا يوسف وهم يقولون: "فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَىٰ أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" يوسف:٦٣، لقد وعدوه بحفظٍ، وجرب حفظًا ما أمنهم فيه فغاب عن منظريه يوسف –عليه السلام–، وللتو قال –عليه الصلاة والسلام–: "قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ"، ولكن ماذا قال بعدها: "فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ" يوسف:٦٤.
فلنحفظ أنفسنا بحفظ الله لنا، والله –عز وجل– يحفظنا وإياكم والمسلمين أجمعين بحفظه. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

[1] أخرجه الترمذي وأحمد